

الدَّلالة الجَدِيدَة وَالتَّطوُّر اللُّغَوِي

الدُّكتور إبراهيم السَّامرائي - بغداد - كَلِيَّة الآدَاب .

ومنهم من رد هذا التطور اللغوي الى ما يظن على المجتمعات من اختلاف الظروف الجغرافية والمناخية . وهم يبنون هذا على جملة وقائع عرضت لشعوب مختلفة في تطورها التاريخي . على أنهم يذهبون مذاهب في تفسير هذا التطور الصوتي ، غير أن هذه التفسيرات المختلفة لا تسلم من الطعن فيها فهي وإن كانت وجيهة فإنها تفتقر دائما الى الاصلية والشمول ، بحيث يمكن لاخذ بها على أنها نظريات ثابتة .

وقد حلا لبعضهم ان يفسر التطور الصوتي بقوانين « مندل » في الوراثة ، والرد على هذا من الامور الهينة . وقد استعاروا طريقة تشارلز دارون العالم الانكليزي في التطور وهو ما يدعى بـ « المذهب الطبيعي » . قال دارون في كتابه « أصل الانواع بمسألة تنازع البقاء وظهور

« The Origin of Species »

صفات خاصة في بعض الافراد وانتقال الصفات الخاصة بالوراثة الى النسل وشيوع هذه الصفات وكثرتها بحيث يمكن اعتبار من يرثها من النسل نوعا مختلفا عن من يرثها . وقد طبق العالم الجيولوجي « ليل » هذه النظريات على اللغة فقرر : « ان الانواع في الطبيعة ، واللغات في التاريخ تتغير تبعا لنواميس متشابهة ... والعاملان الجوهريان في اللغات هما كما في الانواع الطبيعية التغير والانتخاب الطبيعي . وكما يحصل في الانواع يحصل كذلك في اللغات أيضا نتائج عظيمة لتجمع أسباب عديدة صغيرة لا قيمة

شارك العرب الاقدمون في العلم اللغوي كما شارك غيرهم من الامم القديمة كالليونان والهنود والصينيون . ولعله من غير المجدي في عصرنا الحاضر ان نبحث في اصل اللغة ، والذي يعنينا من اللغة أنها مظهر ونشاط للطبيعة البشرية الانسانية . وينبغي على ذلك أنها مظهر من مظاهر علم الاجتماع الذي يعنى بالنشاط الانساني في مختلف احواله .

واتصف « علم اللغة » في العصر الحاضر بالصفة العامة الخالصة ذلك انه ليس مادة يستعان على ادراكها بالتأمل كما كان في عصور سلفت . انه الآن مادة موضوعية يتبع في علاجها ومعرفتها المنهج الوصفي ، ومن هنا يدخل التطور اللغوي في هذا المنهج .

ان علم اللغة بهذه الحدود الجديدة من العلوم القرية الحديثة التي بحثها الفرييون وتشعبوا فيها ، وقد كان ذلك اثر الاهتمام بما دعاه كريم Grimm بالقوانين الصوتية فقد كان سائدا أنها قوانين عامة شاملة تنطبق على جميع اللغات وهي كالقوانين الطبيعية الأخرى .

وقد عرضوا لاسباب هذا التطور في الاصوات فردوا ذلك الى الاختلاف الذي يحصل في اعضاء النطق ، وقد عرضوا في ذلك لجملة من الملاحظات والتجارب لاثبات ما يعنون الاصوات من تغيير اذا ما حدث اي تشويه في اعضاء النطق .

لها في أحد ذاتها كادخال عبارات أجنبية وكثرة الخطباء والكتابة والاختراعات والاكتشافات وتعلم علوم جديدة وتنازع الالفاظ الى غير ذلك مما يغير اللفظة « (1) » .

ثم جاء بعد « ليل » العالم اللغوي شليخسر فنشر كتابه بعنوان « دارون وعلم اللغات » وقد قرر فيه « ان مبادئ دارون ينطبق جميعها على كيفية نمو اللغات فان جميع اللغات الاوروبية يكاد يكون لها اصل واحد هو اللغة الهندية الجرمانية ، ومنها تفرعت عدة فروع بايدي ذي بدء ثم تفرع من هذه الفروع فروع أخرى . على ان تفسير التطور اللغوي بهذه المحاولات لم يكن الا مجرد آراء أخذ بها اللغويون في مطلع هذا القرن ، وهي من غير شك محاولات لا تسلم من النقد الذي وجه اليها .

غير انه من الثابت ان التطور اللغوي يحدث في مادة اللغة التي تؤلف بنيتها وكيانها واعني بذلك الالفاظ التي تبنى منها اللغة . هذه الالفاظ يخضعها الاستعمال فتجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Sémantique جديدة يستدعيها الزمان والمكان . وليست العربية بدعا بين اللغات ، ذلك ان اللغات كافة تخضع لسنة التطور ، وان الكلمة في كثير من اللغات مادة حية يعمل فيها الزمان ويؤثر فيها وتجد فيها الحياة فتتطور وتبديل وربما اكتسبت خصوصيات معنوية ابعدها الاستعمال عن اصلها بعدا قليلا او كثيرا . وليست العربية بنجوة من هذا الذي يطرا على غيرها من اللغات .

وعلى هذا يتحتم على الباحثين والدارسين ان يأخذوا انفسهم بالمنهج الوصفي ، فان كثيرا من الالفاظ انتقلت انتقالات عدة بحيث ان « المصطلح الفني » يؤلف مثلا مرحلة معنوية من الدلالة التي انتهت اليها لفظة من الالفاظ او تركيب من التراكيب . فلا بد ان يعنى المعجم الحديث بهذه الناحية ويثبت هذه الالفاظ التي جددت في العربية واقتضتها ظروف المجتمعات الجديدة .

ومن العجب ان المعجم العربي الحديث لم يول هذه الناحية ما تستحقه من عناية كافية وربما تنكر

اصحاب المعجمات الحديثة لهذا التسرع من المولد الجديد . وليس عجيبا ان يكون نفر من هؤلاء ما زال يعد الجديد المولد غير فصيح وان اقتضاه عصرنا وجرى عليه الاستعمال ، وشاع وقيد في النصوص والوثائق . وهذه النظرة وان تمسك بها جماعة من اللغويين في عصرنا فان المعربين كافة أخذوا انفسهم باستعمال الجديد ، وقد بحث الاوربيون في هذه الناحية وألغوا فيها مصنفات عدة ما زالت تدرس حتى يومنا هذا (2) .

واذا عدنا الى عربيتنا الحديثة وجدناها تزخر بمئات من الالفاظ الجديدة المولدة والمعربة وقد أخذت طريقها الى الاستعمال وصارت مخصصة مقيدة بنوع خاص من المعنى . غير ان اللغويين ما زالوا مترددين في عد هذا الجديد من الفصيح .

ان عربية يومنا هذا غير تلك العربية التي كان ابناء امسنا القريب في مطلع هذا القرن يعربون بها . ومن غير شك ان عربية هذا الاقليم تختلف عن عربية اقليم آخر في هذا الوطن العربي الفسيح الأرجاء . ومن غير شك ايضا ان خصائص العصر لا بد ان نلمسها في لغة أية حقبة . ان هذه الحال تصدق اذا عرفنا ان القدماء قد جردوا من اللغة طائفة من الالفاظ والاستعمالات تتصل بحقبة من الحقب او بنظام سياسي معين او بلون اجتماعي خاص او بفرقة من الفرق ، كان تكون هناك الفاظ عباسية وأخرى من المجازات الاسلامية كمجازات القرآن ومجازات الحديث ، وطائفة لغوية ذات علاقة بالتصوف الاسلامي ، وطائفة أخرى تتصل بالفلسفة الاسلامية . وجاء العصر الحديث وبرزت الحضارة الغربية وتطلع العرب الى ألوان هذه الحضارة فوجدوا ان لا ضير على الحضارة الاسلامية من اخذ شئ من ألوان هذه الحضارة الوافدة . وسواء رضينا ام ابينا هذه الالوان الجديدة فانها لا بد ان تجد سبيلها اليها . وكان من ذلك ان صارت لغتنا العربية معبرة عن خصائص هذا العصر الجديد فحفلت بالفاظ جديدة كما حفلت بطرائق جديدة في الاستعمال . قلت : قد حفلت العربية الحديثة بالفاظ جديدة . ان عنصر الجودة في هذا الموضوع هو ان

(1) من المقالة الثانية من كتاب « فلسفة النسوء والارتقاء » لشبلي شميل (مطبعة المقتطف مصر 1910) ص 120 - 121 .

(2) من هؤلاء Darmestetiv في كتابه « حياة الكلمات » La vie des mots . ومنهم Whitney في كتابه « حياة اللغة » La vie du langage . ومنهم Richard و Ogden في كتابهما The Meaning of Meaning

او «الانبراطورية» . والامبريالية كلمة يستعملها صنف كبير من الكتاب السياسيين والاقتصاديين وتظهر في كتاباتهم للتعبير عن مصطلح أعجمي لا بد من توفيره في العربية . وهي كسابقتها «الامبراطورية» من الشيوع والاستعمال .

وبعد فليس من الحق الا يعرض أصحاب المعجمات الحديثة لشيء من هذه المعربات . ومن الناحية التاريخية ان الوصف بـ «الامبريالي» Impérialiste كان قد عرف في سنة 1546 بمعنى المتعصب والمنحاز للامبراطورية الالمانية . وفي القرن التاسع عشر كان هذا الوصف يعني من يتعصب للأسرة النابوليونية ، ثم صار يعني من يتعصب ويميل للامبراطورية البريطانية التوسعية .

(2) الإنتاجية : مصطلح جديد قذف به كتاب الاقتصاد يريدون به «قابلية الانتاج» Productivité ، وقد بني هذا المصطلح على المصدر الصناعي . واذا كان المصطلح كلمة واحدة كان خيرا من آخر مركب من كلمتين او اكثر . وينبغي ان يراعى في ذلك اللغة التي عرب منها المصطلح .

(3) الانتهازية : كلمة تشيع في كتابات المعاصرين للتعبير عن نمط في الاخلاق غير مقبول ، فالانتهازي عندهم هو النهاز للفرص بغية الحصول على منفعة . وعلى هذا كان الانتهازي من لا يؤمن ولا يطمأن اليه ، والكلمة مما ينز بها في هذا العصر . والانتهازية الخلق الذي يتصف به الانتهازي ، والكلمة من غير شك ترجمة لـ Opportunisme وهي معروفة مستعملة في كتابات السياسيين . والانتهازي من الساسة من يحسن الافادة من الظروف خدمة لمصلحه .

فاذا كانت الكلمة بهذه الحدود الواضحة وبهذه الكثرة من الاستعمال فمن الغريب ان يخلو منها معجم حديث العربية . ومن الغيد ان أشير الى الكلمة القديمة «نهاز» وهي وزن المبالغة لـ «ناهز» او نهزة على «فعلة» لما قد يؤدى ان من المعنى الجديد ولما يقتربان مما هو انتهازي .

دلالة جديدة قد وجدت . وهذا يعني ان تطورا ما قد حدث وان المعربين وجدوا انفسهم محتاجين الى شيء من جديد يؤدي معاني جديدة استحدثت لفرض من اغراض الحياة الجديدة .

اقول : من الواجب علينا ان نفسح لهذا الجديد انذى قذف به المستعملون ، في كتاباتنا لانه صار من مادة هذه اللغة . وسأعرض لجملة من هذه الالفاظ ولم ارد من ذكرها الا ان تكون امثلة على النهج الذي اشترت اليه من ذي قبل . وهذه اشياء جمعتها من هنا وهناك ولم اتبع في جمعي هذا منهجا خاصا فمنها ما شاع في لغة الصحافة اليومية ، ومنها ما هو جار على السنة المذيعين ، ومنها ما هو مستعمل في لغة الكتابة الخاصة ، واعني بالخاصة لغة الكتابة غير الادبية كالالفاظ الاقتصادية والسياسية ونحو ذلك .

لعل احدا يقول : ان هذه الالفاظ ينبغي ان تصنف في مجموعات حسب الاختصاص الذي تنسب اليه ، كان يكون لالفاظ السياسة مجموعة خاصة ينتظمها سفر خاص ، وهكذا في سائر الاختصاصات . وهذا صحيح غير ان العربية ما زالت مفتقرة اليه .

على ان هذا لا يعني اغفال هذه الالفاظ الجديدة في المعجم اللغوي ، ذلك انها معان جديدة ينبغي ان يشار اليها بايجاز في معجم لغوي حديث (1) .

ودونك شيئا من هذه الالفاظ الجديدة :

(1) الامبريالية : لفظة اعجمية الاصل عربت على حياة المصدر الصناعي ، والمصدر الصناعي مادة مهمة في العربية أفيد منها كثيرا في التوصل الى كثير من المصطلحات العلمية . والكلمة تعريب Imperialisme وهي تعني فيما تعنيه الاتجاه السياسي المتصف بالسيطرة والتوسع . وعلى هذا كانت الامبريالية درجة عليا من درجات الاستعمار . والوصف منها «امبريالي» وهو مقابل لـ Imperial والاصل الاعجمي القديم الذي بنيت منه الكلمة القريبة هو الكلمة اللاتينية التي ترجع الى العصور المتأخرة Imperialis وهو من Imperium وهذه الاخيرة تعني Empire وقد عربت هذه بـ «الامبراطورية»

(1) أغفل « المعجم الوسيط » كثيرا من هذه الالفاظ الجديدة كما أغفل غيرها . انظر مجلة المجمع العربي بدمشق (المجلدات: الثامن والتاسع والثلاثون والاربعون) : نظرات في المعجم الوسيط لعدنان الخطيب .

4) **الإنهزامية** : كلمة أخرى تشيع في كتابات المعاصرين ممن يتناولون المسائل السياسية . وهي نموذج خاص من الخلق ، فالإنهزامي هو الذي لا يحتمل مواجهة الأمور الصعبة والظروف الدقيقة ، وإنما يفضل الابتعاد عن الصعاب ولا يستطيع احتمال النتائج . والكلمة ترجمة للكلمة الأعجمية Défaitisme .

واظن من المناسب ان يشار الى مثل هذه المولدات الجديدة في معجم جديد للعربية .

5) **البرجوازية** : مصطلح جديد بني على المصدر الصناعي للتعبير عن طبقة اجتماعية خاصة ، وهي الطبقة الوسطى كما يذهب أصحاب علم الاجتماع . على ان الكلمة قد تكون وصفا فيقال مثلا: **المفاهيم البرجوازية** اي مفاهيم هذه الطبقة وانماط تفكيرها والكلمة تعريب للكلمة الفرنسية Bourgeoisie .

والاصل فيها كلمة Bourg وتعني المدينة فكان « **البورجوازي** » في الاصل ساكن المدينة Bourgeois ثم تطورت في الاستعمال عبر العصور فصار البورجوازي يعني المتمتع بحقوق خاصة يملها عليه سكنى المدن . ثم صارت تعني الرجل المرفه المترف ، ثم هي عند العمال تعني رب العمل او السيد المطاع . وربما افادت الكلمة معنى سلبيا في نظر طائفة من المجتمع ، ذلك ان البورجوازي لدى العمال في بداية عصر التحول الصناعي ، انسان غير محبوب ، واذا كان غير محبوب فالكلمة تشير الى التبر من هذه الناحية .

وهي في كتابات علماء الاجتماع والسياسيين صارت تعني طبقة من الناس لها افكارها ولها اخلاقها، ثم اندست معربة في العربية بهذه الخصوصية المعنوية . وعلى هذا كان من المفيد ان يشار اليها في معجمنا الحديث .

6) **التقدمية** : مصطلح جديد يفيد طريقة في التفكير واسلوبا في العمل وفلسفة تنجح الى التقدم والعزوف عن الجمود وهي كلمة جديدة شاعت في كتابات السياسيين وعلماء الاجتماع في مطلع هذا القرن ولاسيما في كتابات الاشتراكيين وأنصار المذاهب اليسارية . والتقدمي هو القائل بالتقدمية والسالك في نهجها والأخذ بفلسفتها . وهي من غير شك ترجمة لـ Progressisme والتقدمي يقابله لفظ Progressiste .

ومن المفيد ان نشير الى ان الكلمة حين استعملت في العربية اوشكت ان تكون من لوازم الاشتراكية . وهذا يعني ان الاشتراكيين والشيوعيين من القائلين بالتقدمية . ثم توسع في استخدام التقدمية حتى استقرت في مكانها الصحيح حتى صار التقدمي هو المؤمن بالتقدمية في المجالات الإصلاحية . وعلى هذا كان من الضروري ان يشار الى هذه الكلمة في صورها المختلفة في معجم حديث للعربية .

7) **الثورية** : مصطلح جديد يفيد النزعة الى الثورة والاندفاع اليها . و « **الثوري** » هو المتصف بهذه النزعة وهذا الاندفاع . والكلمة لاختيرة ترجمة لـ Révolutionnaire .

8) **الجمهورية** : نظام معروف في الحكم . ولا نرى حاجة للقول ان الكلمة لا بد ان يشار اليها في معجم لغوي لشيوعها واستعمالها .

9) **الديمقراطية** : وليس من حاجة للاسهاب في شرح هذا المصطلح الذي صار من الشيوع بحيث صار مفهوما لدى المختص وغيره . وقد عرب الكتاب العرب هذه الكلمة واجروها على المصدر الصناعي للتعبير عن المعاني التي تنطوي عليها كما اخذتها امم كثيرة للتعبير عن المعاني نفسها فلا بد ان نشير اليها في معجمتنا اشارة كافية . وهي تقابل كلمة Démocratie .

10) **الديماكوجية** : وهذه كلمة جديدة اخذت سبيلها في كتابات المعاصرين من أصحاب العلوم الاجتماعية . وهي معربة من Démagogie . وهي تعني في السياسة الطريقة التي يتملق بها الجمهور والعامه .

والكلمة من اصل اغريقي هو Démagogia والمتذهب بهذه الطريقة يقال له Démagogue اي الديماكوجي . ولا بد من الاشارة الى ان هذه الكلمة قد استعملها الكتاب العرب في المشرق العربي على هذا النوع من التعريب . غير ان نفرا من الكتاب قد آثر ان يلجأ الى ترجمة هذه الكلمة فاتخذ « **الفوغائية** » مقابلا للكلمة الأعجمية . وهذه الكلمة الأعجمية المنسوبة الى « **الفوغاء** » أريد بها التبر والاحتقار حين جعلت مقابلا للأعجمية . ومن الضروري

أن يشار في معجمنا الحديث الى هذه الكلمة ونظائرها مما هو جار في استعمال الكتاب العرب عملا بالنهج لعلمي بدي يؤرخ اللفاظ في علم المعجمية الحديثة.

11) **الفوضوية** : وهو اصطلاح جديد يريدون به سيطرة الدهماء والغوغاء . وهو في استعمال الكتاب العرب يتخذ شيئا من النبز والاحتقار ، في بعض لآحيان . وهو مذهب له انصار في المجتمعات افريقية الحديثة وهؤلاء اصحاب افكار غريبة . والكلمة ترجمة لـ Anarchisme وقد بنيت هذه الكلمة الجديدة في العربية على كلمة « فوضى » المعروفة ، وينبغي ان نعرض لهذه الكلمة التي تقلبت في استعمال ، فالعروف أن « فوضى » جمع على « فعلى » والاصل فيها « فضى » جمع فضيض مثل شتى جمع شتيت ثم عرض لها الابدال ، وكثيرا ما يعرض هذا النوع من الابدال . ثم ان المعنى يدل على هذا الاصل ، فكلمة « فوضى » تعني في الاصل « المتفرقين » والى هذا ذهب الشاعر القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم

ولا سراة اذا جهالهم سادوا

اقول : ان هذه الكلمة اصابها التحول والتبدل بسبب الاستعمال الكثير ، فقد انتقلت من الجمع الى المصدرية اذ المعروف ان « فوضى » في لغتنا الحديثة تعني « عدم النظام » وما ابعد هذا عن المعنى القديم . وفي هذا عرض للتطور الذي يعرض للغة .

12) **الراسمالية** : مصطلح جديد من مصطلحات علم الاقتصاد الحديث . والكلمة مركبة منحوتة ، فان « **راسمال** » بالهمز ، او « **راسمال** » بتسهيل الهمزة كلمة جديدة ، وكان تركيبها قد اغفل النظر اليه فصارت تجمع على « **راسمائل** » . على أن تركيبها ما زال منظورا اليه لدى من يجمع الكلمة على « رؤوس اموال » . ومن الطريف ان يشار الى ان العامية العراقية قد اغفلت النظر الى تركيب هذه الكلمة فاشتقت منها فعلا هو « **راسمائل** » بمعنى ان البضاعة المبيعة قد ردت « **راسمالها** » أي انها لم تخسر ولم تريح .

13) **الرجعية** مصطلح جديد مبني على طريقة المصدر الصناعي للتعبير عن معنى جديد هو

الميل للافكار القديمة وعدم الاقبال على الجديد من الفكر والعمل . ووصف نفر من الناس بالرجعية من باب النبز والاحتقار ، ولا يفهم بذلك الا اصحاب التقدمية والقائلون بالفكر الجديد . وعلى هذا تكون الرجعية ضد التقدمية .

والكلمة ترجمة للكلمة الاعجمية « Réaction » . وصاحب هذه الصفات (**الرجعي**) Reactionnaire . ولما كانت هذه الكلمات مما يصف بها التقدميون خصومهم فقد يفرط في استعمالها . وعلى كل حال لابد من الاشارة الى هذه المولدات اللغوية في المعجم الحديث أو على الاقل في المعجمات الخاصة كمعجم المصطلحات السياسية ومعجم المصطلحات الاقتصادية ونحو ذلك .

14) **الكولونيالية** : وهو مصطلح جديد معرب على هذه الطريقة استعمله الكتاب السياسيون . والمراد به « **الاستعمار** » وكان هؤلاء عدلوا عن الاستعمار لعمومه وشموله وعدم تحديده للمراحل السياسية والحدود التي يجري عليها استعباد الشعوب . وعند هؤلاء ان « **الكولونيالية** » الصق بنوع خاص من السيطرة لا تؤديه كلمة « استعمار » وهو من « Colonialisme » .

ولا ندرى ايكذب لهذه الكلمة المعربة الشيوخ والبقاء ام يطوبها الزمن كغيرها مما يقذف به الكتاب لحاجة طارئة تقتضيهم ذلك .

15) **المحسوية** كلمة معروفة يكثر استعمالها في لغة الدواوين ويراد منها ان يكون لبعضهم حظوة لدى جماعة من الحكام والرؤساء فهؤلاء يقدمونه ويخصونه بالمنافع ويؤثرونه على غيره مراعاة له على نحو يتعد عن العدالة والنصفة دون حساب لمصالح الآخرين . والكلمة ترجمة لـ Favoritisme .

16) **المسؤولية** : مصدر جديد يراد به الاضطلاع بالأمر وتحمل العواقب والتهيؤ للعمل الجاد بحيث أن صاحب المسؤولية مسئول عما يقوم به . و « **المسؤول** » نظير الرئيس والحاكم والمتصرف بالامور . وهذا مما ينبغي أن ينبه عليه في كتب اللغة التي تعنى بالجديد من المعاني . والمسؤولية يقابلها بالفرنسية Responsabilité كما يقابل كلمة مسئول Responsable .

« فعيل » من هذه الكلمة ، فهي جديدة في صيغتها جديدة في معناها . وهي تقابل Agent الاعجمية . والكلمة من الشيوع في الاستعمال بحيث يجب ان ينص عليها اذا ما اريد تسجيل العربية تسجيلاً تاريخياً .

(21) الرائد (Pionnier) : وهي كلمة قديمة . والرائد الذي يرسل في التماس النجمة وطلب الكلاً ، وفي حديث امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) في صفة أصحابه : « يدخلون روداً ويخرجون ادلة » أي يدخلون طالبين للعلم ملتصقين للحلم ويخرجون هداة للناس . وأصل الرائد الذي يتقدم القوم ليصر لهم الكلاً ومساقط الفيث .

هذا هو استعمالها المأثور عن العرب الاقدمين ، أما الاستعمال الحديث لهذه الكلمة ففيه شيء من الجدة ينبغي ان يشار اليه ولا يكتفى بتخطئه فيقال : « الزعيم الرائد » في الكلام على زعيم من الزعماء ، كما يقال : الصحيفة الرائدة او الفكرة الرائدة . وهذا نوع من الاستعمال جديد يوصل اليه بشيء من اللطف في فهم التشبيه والمجاز .

هذه جملة مصطلحات جديدة لها مكانها في اللغة الحديثة فهي تستعمل في مقامات مخصوصة بحيث صارت جهمرة القراء تقرؤها كل يوم وتسمعها كل يوم . ولذا كان من الواجب ان تدون هذه الاستعمالات مقرونة بالظروف والاحوال .

ان الجديد الذي نلاحظه في لغتنا الحديثة آخذ بالازدياد لما عرضنا في مقدمة هذا البحث من اسباب . أما القول بأن هذا من لغة الجرائد نبزا له وابعادا فذلك غير سديد . ان طائفة كبيرة من الالفاظ القديمة قد انصرفت الى معان جديدة فينا حاجة ماسة اليها .

فان لم تقبل هذه المعاني الجديدة فكيف تعمل ازاء التأمين ، والتصميم والتخطيط والصمود والمسح والتفلية والتوعية والارضية والخلفية وايشاء اخرى ؟ وساعدوا لبحث في هذه الالفاظ الجديدة في مبحث قابل والسلام عليكم .

(17) النضالية : وهي كلمة جديدة مبنية على طريقة المصدر الصناعي للدلالة على الاستعداد الطبيعي للعمل الشاق في سبيل تحقيق هدف سام كالاعمال الوطنية عامة والنضال ضد المستعمر مثلا . ومعنى الكلمة كما قلت على طريقة المصدر الصناعي يشعر ان هذه الكلمة أصبحت مصطلحا يفيد « القابلية على النضال » او « الروح النضالية » (1) (Militantisme)

(18) الوصلية : من المصطلح الجديد وهو مصدر صناعي من « الوصول » للدلالة على ما في « الوصولي » من الخلق والعمل . والوصلوي من يعمل كل شيء ويسوغ لديه كل عمل في سبيل الوصول اني بغيته . والوصلوي من الصفات الجديدة التي يوصف بها هذا النوع من خلق الله . وهو خلق رذيل ، ومن هنا كانت الوصلية نبزا وشتما وهي تحضر في كتابات السياسيين في عصرنا . وعلى هذا كان من الضروري الاشارة الى هذا النوع من المولد الجديد . والوصلية ترجمة لـ « Arrivisme » .

(19) مؤتمر : وهذا مصطلح جديد يراد منه ان يكون مقابلا لـ « Congrès » وهو الندوة التي يجتمع فيها نفر من الناس يتشاورون في امر ما . وهو الائتثار والاستثمار والتآمر والمؤامرة وهو التشاور . وعلى هذا كان التآمر والمؤامرة بمعناها الحديث وهو المكيدة والخديعة ، غير معروف في اللغة القديمة . غير ان شيئا من هذا المعنى الحديث وجد في « الائتثار » جاء في التنزيل : « ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك » قال ابو عبيدة : أي يتشاورون عليك ليقتلوك . وعلى هذا كانت الكلمتان « مؤامرة » و « تآمر » من الكلمات المعروفة التي شاعت وكثر استعمالها في المعنى المشار اليه في اعلاه وهي تعد من باب المولد الجديد الذي ينبغي ان ينص عليه .

(20) العملاء : وهي من كلمات النبسز والشمم الجديدة . والكلمة جمع مفردا « عميل » والمراد به من يعمل لمصلحة دولة اجنبية ضد مصلحة وطنه . وعلى هذا كانتا تقابل « جاسوس » من الالفاظ القديمة . ولا يوجد في العربية صفة على

(1) وردت كلمة Militantisme في معجم لاروس : « Dictionnaire du Français Contemporain »

الأضداد في اللغة

الدكتور حسين

- 3 -

أما ما انفرد به أبو حاتم عن قطرب وابن السكيت فأضداد قلائل ، يمكن ان نفرعها الى الانواع التالية :

أ - ما يتبع صيغة انفعل وافتعل من الاجوف والمضاعف ، وهما الصيغتان اللتان زادهما هذا المؤلف (175) .

ب - ما يتبع صيغة فعول وفعيل (158 ، 160 - 165 ، 173 ، 203 ، 204) . وسبب انفراده تجديده في امثلهما .

ج - اضداد كان يشك فيها (246 ، 272) .

د - اخطاء (209 ، 231) .

وظننت في بادئ الامر انه حذف ما حذف من اضداد ابن السكيت ، لانه لم يرض عنها او عن نوع الاضداد الذي تمثله . ولكن الدراسة بينت انه ذكر من الاضداد ما هو من نوعها . فقد حذف بعض اضداد مجازية (65 - 69 ، 71) واضداد اللغات (57 ، 59) واضداد التطير (96) واضداد المتعلقة (13) . واضداد فعول وفعيل (87 ، 30) وغيرها . وكان من هذه الاضداد التي حذفها ما رواه أبو عبيدة (60 ، 67 ، 70 ، 71 ، 100) وأبو عمرو الشيباني (12 ، 14 ، 56) والاصمعي (10 ، 15) وقطرب (98) . وكان فيما زاده اضداد الصيغ المختلفة من افعال وفعول ومفتعل وتفعل (162 ، 165 ، 175 ، 203 ، 231) واضداد مجازية (273)

خالفت اضداد ابي حاتم السجستاني ما سبقها من كتب في العنوان ، اذ لم تقتصر على الاضداد وحدها ، بل هي « كتاب المقلوب لفظه في كلام العرب ، والمزال عن جهته ، والاضداد » . والمراد بالجزء الاول من هذا العنوان ما يسمى « المقلوب » مثل تهيبني الطريق وبالجزء الثاني الاضداد نفسها مثل الجزء الثالث ، فالمزال عن جهته هو ما وجه وجهة مضادة غير معناه الاصيل . فالعنوان يصرح اذن ان الكتاب خاص بالاضداد ، والعبارة المقلوبة . ولكن هذا التقسيم لم يشر ما يماثله في متن الكتاب .

وتشتمل اضداد ابي حاتم على 170 ضدا ، اخذ منها 116 من قطرب ، واتفق ابن السكيت معه في 54 منها . ولم يشترك أبو حاتم مع ابن السكيت في شيء من بقية الاضداد التي لم يأخذها من قطرب ، وقدرها 54 ايضا . فلم يقع بينهما اشتراك الا فيما اخذاه من قطرب . ولكن ابا حاتم لم يأت بهذه الاضداد من عنده ، بل اخذه منها من ابي زيد (166 ، 211 ، 216 ، 243 ، 244) ، و 3 من الاصمعي (214 ، 267 ، 271) ، واثنين من ابي عبيدة (106 ، 118) وواحدا من التوزي (180) وآخر من ابي زيد والاصمعي معا (275) . واشترك مع ابن الانباري في 28 ضدا ، لا ندري مصدرها على وجه اليقين ، وان ورد فيها اسماء بعض اللغويين .

لكنه حوض من أودى بأخوته
ريب المنون فأضحى بيضة البلد

وأما قول ابن الزبيرى :

كانت قريش بيضة فتفلقت
فالمح خالصه لعبد مناف

فليس من هذا فى شيء» . وقال (3) : «زهق .
الزاهق : الميت . يقال : زهقت نفسه وقال تعالى :
« وتزهق أنفسهم » و « قل جاء الحسق وزهق
الباطل » وزهق بين يدي القوم : مضى وتقدم .
وقالوا : والزاهق : السمين ، قال زهير :

القائد الخيل منكوبا دوابرها

منها الشنون ومنها الزاهق الزهم

وقلما كان يسلك الطريقة الثانية ، إلا فى
المقتطفات التى أخذها من غيره . وكان فى بعض
الاحيان يترك الطريقتين ، ويذكر المادة كما تأتي .
قال (4) : « ظهر . بطن : وقال الحسن رحمه الله :
(بطاننها من استبرق) . ظواهرها . وقالوا : ظهر
السماء : وجهها ، وبطن السماء كذلك ، وقرات
القرآن عن ظهر قلب . وعن ظهر اللسان . قال
الشاعر :

وان من القول التى لا شوى لها

إذا زل عن ظهر اللسان انقلابها

وقالوا فى قوله تعالى : « فيظللن رواكد على
ظهره » أي على وجه البحر . وقالوا : امر ظاهر
عنك : أي زائل ، قال الهذلي أبو ذؤيب :

وعيرها الواشون أني احبها

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي زائل . ويقال : النعمة ظاهرة عليه : أي
لازمة له » . فالمعاني والشواهد كلها مختلطة لا نظام
لها .

وأضداد اللفات (227) وأضداد المتعلقةات (236)
وغيرها . أما الفرق الواضح بينهما فكثر اعتماد
ابن السكيت على أبي عبيدة وأبي عمرو الشيباني ،
وأكثر أبي حاتم الرواية عن قطرب وأبي زيد
والاصمعي .

وجمع أبو حاتم فى آخر كتابه ثلاثين ضدا ،
أفردا عن بقية الكتاب لشكه فيها . ووجه اليها
نقدا عاما إذ قال (1) : « وقد ذكر بعض اصحابنا
حروفا لا علم لي بها : اتقال أم لا » . وكان من هذه
الأضداد ما شاركه فيه ابن الأنباري (257) وما
شاركه فيه قطرب وابن الأنباري (252) ، وما
شاركه فيه الاصمعي وابن السكيت وابن الأنباري
والصفاني (187) .

ولا تختلف الخطة التى سار عليها أبو حاتم فى
معانجة الأضداد ، فى معاملها الكبرى وان اختلفت فى
بعض التفاصيل ، عما رأيناه فى أضداد ابن السكيت .
فهما متفقان فى تقديم المادة ، فمعنيها ، فشواهدهما
تارة ، وتقديم المادة فأحد المعاني وشواهده ، فالمعنى
الأخر وشواهده . قال (2) : « بيضة البلد . يقال :
فلان بيضة البلد : إذا ذم ، أي قد انفرد ، ويقال
ذلك فى المدح ، زعموا . فأما فى الذم فقال الراعي
لعدي بن الرقاع العاملي :

تأبى قضاة أن تعرف لكم نسيبا

وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

قال أبو حاتم : يجوز ان يكون قول الراعي
هزأ ، يهزا بهم يقول : انتم سادة البلد ، وهو يهزا
بهم . وقال حسان لمزينة ، وقد قتلوا أباه فجعلهم
جلايب ، أي سفلة :

أرى الجلايب قد عزوا وقد كثروا

وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

وقال المتلمس :

(1) ص 148 .

(2) 171 .

(3) 195 .

(4) 240 .

(نـد) الشيء مثله وشبهه وعدله ، ولا اعلمهم
 اختلفوا في ذلك ... والجمع اعداد .. وكثير من
 العرب يجعلون الند ايضا للجمع من الرجال والنساء .
 وللانثيين من الرجال والنساء ، كما يجعلون المثل
 والشبه والعدل والصد .. ويقال : ند ، ونديد ،
 ونديدة بالهاء ، كما يقال في الحديث : « اذا اتاكم
 كريمة قوم فأكرموه » : اي كريم قوم ... قال تعالى :
 « كلا سيكفرون بعبادتهم ، ويكونون » اي تكون
 الالهة ضدا عليهم . وانما جعل الضد كالمصادر التي
 تكون للواحد والجمع سواء . كقولك : القوم
 رضى ، والقوم عدل . وهم جنب ... وهذا مشهور
 فى المصادر خاصة . ويقال : قوم كرم ، فى معنى :
 كرام وقالوا : قوم شرط : وقزم : للثام ، وقد
 يجمع فيقال : قزامى واشراط » .

وكتاب الاضداد لابي حاتم اكثر انتظاما من كتاب
 ابن السكيت ، اذ ينظم اعداد فعول ، وافتعل
 وانفعل من الاجوف ، وافتعل من المضعف الثلاثي ،
 ولم يظهر ذلك التنظيم بهذا البروز فى اعداد ابن
 السكيت . يضاف الى ذلك انه آخر مجموعة كبيرة
 من الاضداد التى شك فيها الى آخر اعدادها ،
 وصرح بشكها فيها . ولكن تسرب اليه الاختلال فى
 مادة « ضنين وظنين » التى لا ندري سبب وضعه
 اياها فى الاضداد ، وفى مادة « تعد » التى كررها
 مرتين (9) .

يضاف الى ذلك ان ابا حاتم فى اعدادها امتاز
 على ابن السكيت امتيازاً كبيراً ، دل على قدرة
 فائقة . وقد ظهرت آثار هذه القدرة فى النقود التى
 عقب بها على كثير مما أورده من اعداد . وعندما
 نتبع هذه النقود نخرج بالملاحظات التالية :

اقام ابو حاتم الشطر الاكبر من نقده ، على عدم
 معرفته هو بالمعنى المقول به للفظ . وهو يقيم من
 نفسه مثالا للقيومين ، فيعني بقوله : « لا أعرفه »
 ان اللقويين لا يعرفونه . قال مرة (10) « اجتمعت

واعتمد ابو حاتم فى علاجه على الشواهد ولكنه
 كان يقلل منها فى الشواهد التى انفرد بها عن ابن
 السكيت ، ولم يظهر لي انه أخذها من غيره . ولا
 يختلف الاستشهاد عند ابي حاتم عنه عند من
 سبقه ، طريقة وانواعا ، غير انه أكثر من الآيات
 القرآنية ، وقلل من الامثال والاقوال . وهذه بعض
 امثلة الاستشهاد عنده . قال (5) : « الآدم من الأبل
 ومن الظباء : الأبيض . ومن كل شيء بعد ذلك :
 غير الأبيض على ما يقول الناس . يقولون : رجل آدم
 - (اسمر) وظبية ادماء : بياض . وبعير آدم :
 للابيض ، وناقاة ادماء » . وقال (6) : « قد قالوا :
 بصير ، للبصير الأعمى ، وللزنجي ابو البياض .
 وقال لي رجل من شق الاحساء : لي ام بصيرة ،
 يريد عمياء .

ولكن ابا حاتم خالف من قبله فى ناحية
 واحدة من الشواهد ، هي ايراده أحيانا السند فى
 تفسير الآيات والاحاديث . قال (7) : « حدثني ابو
 عامر العقدي قال : حدثني سفيان بن عيينة ، عن
 عمرو بن دينار : ان ابن عباس قرأ : (وكان امامهم
 ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) ... » .

وكان فى العلاج يحاول الا يستطرد كما كان
 يفعل ابن السكيت ، وأن يلتزم بما اتصل بالاضداد
 وحده .

ولكن هذا لم يمنعه من الالتفات الى المشتقات
 المتصلة بالاضداد ، والعناية باللغات ، كما نرى فى
 قوله فى « نـد » (8) : « النخل ، يؤثته اهل
 الحجاز ويذكره سائر الناس . ويؤمل : من املته ،
 مخففة ، ويقال : هو مامل ومن قال املته ، فشدد
 اليه . قال : هو مؤمل . وقالوا للواحد : شبه
 وشبيه ، وعدل وعديل . وقد يقال للعدل من
 الاحمال : عديلة : ايضا » .

وكان الى جانب هذا ياتفت أحيانا الى بعض
 القواعد والاحكام اللغوية والنحوية ، ويذكرها .
 قال : « قال ابو حاتم : اجتمعت العرب على ان

(5) 176 .

(6) 225 .

(7) 111 .

(8) 106 .

(9) 212 ، 261 .

(10) 106 .

العرب يجعل الضد مثل الند ، ويقول هو يضادني ، أعلمهم اختلفوا في ذلك . . . (و) زعم قوم ان بعض العرب يجعل الند مثل الند ، ويقول هو يضادني ، في ذلك المعني ، ولا اعرف انا ذلك . فاما المعروف في الضد في كلام العرب فخلافاً للشيء ، كما يقال : الايمان ضد الكفر ، والعقل ضد الحمق . . » .

وكان في اكثر الاحيان يأتي بهذا التقيد في الاضداد المتعلقة بالقرآن تخرجاً منه وورعاً . مثال ذلك قوله « (11) : » كان أبو عبيدة يقول : خفاف من الخوف ، ومن اليقين . وكان يقول : « فان خفتم الا تعدلوا » يريد ايقتنم . ولا علم لي بهذا لانه قرآن ، فانما تحكيه عن رب العالمين ، ولا تدري لعله ليس كما يظن . » .

والدعامة الثانية عنده . تغليط القائل ، مثل قوله (12) : « قال أبو عبيدة : الخنذيد من الخيل : الفحل والخصي . وغلظ ، انما الخنذيد الفائق من الخيل ، ومن كل شيء . ويقال خطيب خنذيد ، وشاعر خنذيد . وقال خفاف بن عبد شمس :

وبراذين كاييات واتنا

وخناذيد خصية وفحولا

الخصية : الخصيان . فاراد منها خصيان ومنها فحول . وقال بشر بن أبي خازم في نعت فرس :

وخنذيد ترى الفرمول منه

كظي الزق علقه التجار »

وعثرت على نقد واحد من ابي حاتم قام على عدم الثقة بمن روى الضد ، قال (13) : « قال أبو عبيدة : اسررت الشيء : اخفيته واظهرته ايضا . وكان يقول في هذه الآية : (واسروا الندامة لما راوا العذاب) : اظهروها . ولا اثق بقوله في هذا ، والله اعلم . وقد زعموا ان الفرزدق قال :

فلما رأى الحجاج جرد سيفه

أسر الحروري الذي كان اضمرا

ولا اثق ايضا بقول الفرزدق في القرآن . ولا ادري لعله قال : « الذي كان اظهرا » أي كتم ما كان عليه . والفرزدق كثير التخليط في شعره ، وليس في قول نظيره جرير والاخلط شيء من ذلك . فلا اثق به في القرآن . » .

كذلك عند ابي حاتم نقد واحد قام على ان الضد من احتمالات النحويين قال (14) : « قال قوم : سوى الشيء ، غيره ، وسواه : هو هو . وقال قوم : بل سوى تكون زيادة احيانا ، كقول ابي النجم : « كالشمس لم تعد سوى ذورها » يريد لم تعد ذورها ، أي أن ذرت ، أي طلعت . وانشدنا ابو زيد :

انا فلن نعدل سواه بغيره

رسول اتي من عند ذي العرش هاديا

يعني النبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى فلم نعدله بغيره . وقال الاخفش : اراد فلم نعدل سواه بغير سواه ، فالهاء ترجع الى سواه . وهذا من احتمال النحويين ، وكلام العرب على غير ذلك .» .

— * —

كتاب ابن الانباري

وصل لنا ايضا « كتاب الاضداد » لابي بكر محمد بن القاسم الانباري . وقد قدم المؤلف - كابي حاتم - بين يدي كتابه مقدمة ، صدرها بالحمد والصلاة ، ثم عرف الاضداد ، وذكر ما دفعه الى التأليف فيها ، وقسم الكلام العربي تمهيدا لوضع الاضداد في موضعها اللائق بها ، وابان نشأتها الاولى في اللغة . ونستبين من الاطلاع عليها ان ابن الانباري ادخل في مقدمته مقدمة قطرب كلها .

وكشف ابن الانباري عن النهج الذي اختطه في كتابه ، فقال (15) : « وقد جمع قوم من اهل اللغة الحروف المتضادة ، وصنفوا في احصائها كتابا . نظرت فيها . فوجدت كل واحد منهم اتي من الحروف

(11) 117 .

(12) 115 .

(13) 168 .

(14) 181 .

(15) ص 13 .

بجزء . واسقط منها جزءا ، وأكثرهم أمسك عن الاعتلال لها . فرايت أن أجمعها في كتابنا هذا ، على حسب معرفتي ومبلغ علمي ، ليستفني كاتبه والنظر فيه عن الكتب القديمة المولفة في مثل معناه ، إذ اشتمل على جميع ما فيها ، ولم يعد منه زيادة الفوائد ، وحسن البيان ، واستيفاء الاحتجاج ، واستقصاء الشواهد .

ووفى المؤلف من الخطوة الأولى من نهجه . فقد ذكر جميع ما في أضداد ابن السكيت وأبي حاتم ، ما عدا قريبا من 30 أهملها لشكها فيها - وجميع ما في أضداد قطرب غير 12 ضدا . وكان قطرب قد انفرد بعشرة منها ، واتفق معه أبو حاتم في الباقيين 77 ، 164 . وزاد عليها أضدادا أخرى ، فبلغ المجموع 357 . وكانت هذه الزيادة وفاء منه بالخطوة الثانية من منهجه ، إلى جانب ما أورده من فوائد في أثناء الحديث عن الأضداد نفسها .

أما « حسن البيان » فظهر أولا في الخطة التي رسمها لنفسه ولم يحد عنها تقريبا . وأوجزها في الابتداء بالتنبيه على أن اللفظ من الأضداد ثم تقديم معنييه المتضادين ، ثم اتباعهما بالشواهد أن كان بين يديه شيء منها . وها أنذا أفتح الكتاب عفوًا ، لا لتقط الضد الذي يكون فيها . قال (16) : « وتائم حرف من الأضداد . يقال : قد تائم الرجل : إذا أتى ما فيه المائم ، وتائم إذا تجنب المائم ، كما يقال : قد تحوب الرجل إذا تجنب الحوب . ولا يستعمل تحوب في المعنى الآخر . أخبرنا محمد بن أحمد بن النضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو قال : حدثنا زائدة ، عن هشام قال : قال الحسن ومحمد : ما علمنا أحدا منهم ترك الصلاة على أحد من أهل القبلة تائما من ذلك ، أي تجنبيا للمائم . » وكان في بعض الأحيان يجمع بين كلام قطرب والأصمعي في سياق واحد ، كما فعل غيره أيضا (ريب) .

وظهر « حسن بيانه وكثرة فوائده » في حشو المواد . فقد عني بابانه أصل الأضداد وما اتصل بها من مشتقات في أحيان كثيرة ، مثل (17) : « وقال الفراء : حسب أصله من حسبت الشيء أي وقع في

حسابي . تم كسرت السين منه ، ونقل إلى معنى الشك ... وقال الفراء : خلت أصله من الخيال إذا تخيل لك الشيء ، ثم عمل في الاسم والخبر . ونقل إلى معنى الظن .. » .

وعنى في بعض الأضداد بإيراد معانيها الأخرى غير المتضادة ، مثل (18) : « الظن يقع على معان أربعة : معنيان متضادان : أحدهما الشك . والآخر اليقين الذي لا شك فيه . . والمعنيان اللذان ليسا متضادين : أحدهما الكذب ، والآخر التهمة . فإذا كان الظن بمعنى الكذب قلت ظن فلان . أي كذب ، قال الله عز وجل : « ان هم إلا يظنون » .

وأكثر في علاجه للمواد من إيراد الأحكام والقواعد اللغوية والنحوية بشكل بارز لم نره عند من قبله . قال في « توسد (19) » : « وأنشد الفراء :

يا رب ساربات ما توسدا

الا ذراع العنس او كف اليد

أي كان ذراع الناقة بمنزلة الوسادة . وموضع اليد خفض بإضافة الكف إليها ، وثبتت الألف فيها . وهي مخفوضة ، لأنها شبهت بالرحى والفتى والعصا ، وعلى هذا قالت جماعة من العرب : قام أباك ، وجلس أخاك ، فشبهوها بعصاك ورحاك وما لا يتغير من المعتلة . هذا مذهب أصحابنا . وقال غيرهم : موضع اليد نصب بكف ، وكف فعل ماضٍ من قولك : قد كف فلان الأذى عنا . وقال : « الأون حرف من الأضداد ، يقال : الأون ، للرفق والدعة ، والأون : للتعب والمثونة ... والمثونة أخذت من الأون ، وهو التعب والنصب . والأصل فيه ماونة مفعلة ، من الأون ، فنقلت ضمة الواو إلى الهمزة ، ويجوز أن تكون مفعلة من الأون وهو الرفق والدعة فإذا قالوا هو عظيم المثونة فمعناه : عظيم التسكين والرفق . ويجوز أن تكون المثونة مفعلة من الأين ، والأين التعب . قال الشاعر :

(16) 105 .

(17) 43 .

(18) 1 .

(19) 115 .

مذهب أهل العراق . ويقال في جمعه اقراء وقروء .
وقال الاصمعي عن ابي عمرو : يقال : قد دفع فلان
الى فلانة جاريتها تقرئها ، يعني أن تحيض ثم تطهر
للاستبراء . ويقال : القرء هو الوقت الذي يجوز أن
يكون فيه حيض ، ويجوز أن يكون فيه طهر . . .
ويقال : قد اقترت النجوم اذا غابت . قال ابو بكر :
وهذا حجة لمن قال : الاقراء الاطهار ، لانها خرجت من
حال الطلوع الى حال الغيبة « وقال الاصمعي وابو
عبيد : يقال : قد اقترت المرأة اذا دنا حيضها ،
واقترت اذا دنا طهرها . قال ابو بكر : هذه رواية
أبي عبيد عنهما . وروى غيره : اقترت اذا حاضت ،
واقترت اذا طهرت . وحكى بعضهم قرأت ، بغير
الف في المعنيين جميعا . والصحيح عندي ما رواه
ابو عبيد . »

وقد رأينا - فيما سبق - ان ابن الانباري نقد
بعض الاضداد ، لان المعنيين لصيغتين مختلفتين لا
صفة واحدة مثل فعل وأفعل ، او لان المعنى الثاني
لللفظ غير شائع الاستعمال ، او لعدم وجود شواهد
تدعم المعنى الثاني . ويمكن ان نضيف اليها ما يحدد
السياق معناه ، مثل (21) : « قال قطرب : من
الاضداد قولهم اليت المرأة تالي ، اذا عظمت أيتها ،
واليت الشاة وغيرها ، اذا قطعت أيتها . قال ابو
بكر : وليس هو عندي من الاضداد ، لان كل
واحد من الحرفين ينفرد بمعنى واحد ، ولا يقع
على معنيين متضادين » .

واذا قارنا بين نقد أبي حاتم ونقد ابن الانباري ،
وجدنا الاول منهما معتدا بنفسه ومعلوماته ، عنيقا
في هجومه ، ولم نجد شيئا من ذلك عند الثاني .
فابن الانباري لا يقارن اقوال قطرب او غيره من
مؤلفي الاضداد بمعارفه هو كما يفعل أبو حاتم بل
بأقوال غيره من اللغويين . ولم يفلظ ابن الانباري
أحدا ، ولا حجب ثقته عنه ، ولا عد أقواله من
الاحتمالات كما فعل أبو حاتم . وبيننا كان أبو عبيدة
هدف نقد أبي حاتم الاول ، كان ابن قتيبة الهدف
الاول لنقد ابن الانباري .

ومن مظاهر قدرة ابن الانباري في التمهيص
حذفه ما حذف من اضداد ابن السكيت وأبي حاتم .
فقد حذف من الاول ارقام 14 ، 17 ، 87 ، 96 ،

لا يغمز الساق من أين ولا نصب
ولا يعرض على شرسوفه الصفر
واصلها على هذا القول مأينة ، فحولوا ضمة
الياء الى الهمزة ، وجعلوا الياء واوا لانضمام ما
قبلها ، كما قال الآخر :

وكنت اذا جاري دعا لمضوفة
اشمر حتى ينصف الساق مثرري

فمضوفة مفعلة من الضيافة ، واصلها مضيفة ،
ففعل بها ما فعل بمثونة . وتكوين المثونة فعولة من
منت الرجل ، فتهمز الواو لانضمامها ، كما قال امرؤ
القيس :

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
ثوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فثوم فعول من النوم ، همز الواو لانضمامها «
وامثال ذلك في الكتاب كثيرة .

وعنى في الحشو أيضا باللفات . فكان يقول :
« أخبرنا أبو العباس قال : يقال : هو الباز وهو
البازي ، فمن قال : هو اباز ، قال في التثنية :
هما البازان والجمع البازان ، على مثال قولهم :
الخال والخيلاق ، ومن قال : هو البازي قال في
التثنية : هما البازيان ، وفي الجمع البازة على مثال
القاضي والقضاة . قال ابو بكر : في الباز لغة ثالثة
لم يذكرها في هذا الكتاب وذكرها لنا في بعض
أماله قال : ويقال : هو الباز ، بهمز الالف مثل
الفأس والكأس ، وتجمعه في أدنى العدد من ثلاثة
الى عشرة فتقول : ثلاثة أبوز ، كما تقول : أفؤس
وأكؤس . فاذا كثرت فهي البؤوز ، كما تقول
كؤوس وفؤوس . فجمع القلة على أفعل مثل الأفلس
والأبحر ، وجمع الكثرة على الفعول مثل الفلوسوس
والبحور . قال ابو بكر : في الباز لغة رابعة ، يقال :
هو البازي ، بياء مشددة تشبه بياء النسبة . . » .

وكثر في حشوه النقد وخاصة نقد قطرب وابن
قتيبة . وأقام ابن الانباري كثيرا من نقده على تعارض
الاقوال المختلفة من اللغويين . فأورد أقوالهم وقارن
بينها ليخلص الى الرأي الصواب عنده ، مثل (20) :
« القرء حرف من الاضداد . يقال : القرء للطهر ،
وهو مذهب أهل الحجاز ، والقرء للحيض ، وهو

(20) 8 .

(21) 322 .

100 ، 103 ، 105 . وكلها كان أبو حاتم قد حذفها غير رقم 94 الذي اوردته فيما شك فيه من اصدقاء ، ولعل ذلك الذي دعا ابن الانباري الى تركه .

وحذف من ابي حاتم ثلاثة انواع من الاضداد : اولها ما انفرد به ، مثل 246 ، 272 ، 244 ، 266 ، 275 ، 166 ، 109 ، 242 ، 173 ، 236 . واكثرها مما شك فيه أبو حاتم نفسه ، أو اقيم على أساس خاطيء 109 ، 166 ، 180 ، 236 . ثانيها بعض ما كان على صيغة فعول ، مثل 160 - 163 . ثالثها بعض ما كان على صيغة افتعل وانفعل من الاجوف ، أو افتعل من المضاعف ، مثل 118 ، 175 . وكان حذفه لما حذف من هذه الصيغ اكتفاء بما ذكره هو منها لا لشكه فيها .

واخيرا وفي « باستيفاء الاحتجاج واستقصاء الشواهد » . فاتي بالانواع المختلفة من الشواهد : من القرآن ، والحديث ، والشعر ، والامثال والاقوال . كما فعل سابقوه . وقد مرت علينا امثلة ذلك . وعني في كثير من الآيات والاحاديث وتفسيرها ، بايراد سند اقواله . وكانت عنايته هذه اكبر من عناية ابي حاتم . فكان يقول (22) : « اخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد بن عاصم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا أبو عبد الرحمن عثمان بن عبد الرحمن الجزري قال : حدثنا عبيد الله بن أبي العباس ، عن جويبر ، عن الضحاک قال : سألت نافع بن الأزرق عبد الله بن العباس عن قول الله عز وجل : (واتم سامدون) فقال : معناه لاهون . فقال نافع : وهل كانت العرب تصرف هذا في الجاهلية ؟ قال : نعم ، اما سمعت قول هزيلة بنت بكر وهي تبكي عادة حيث تقول :

بغيت عاد لقيما

وأبا سعد مريدا

وأبا جلهمة الخيد

سر فتى الحي العنودا

فيل : قم فانظر اليهم

ثم دع عنك السمودا

وكان يأتي بالشواهد على الامور الاستطرادية في كلامه . ويعتق على الشواهد ويشرحها ويطلب احيانا ، وقد يبين ما في الشواهد الشعرية من روايات . قال مثلا في مادة « ماتت بجمع » (23) : « وقال الشاعر يذكر ماء وردة :

وردناه في مجرى سهيل يمانيا

بصر البرى من بين جمع وخادج

فالجمع : التي في بطنها ولد ، ويقال : بجمع بكسر الجيم . والخادج : التي اتقت ولدها ويقال : قد خدجت الناقة تخدج اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام الخلق ، واخذجت تخدج اذا القته ناقص الخلق وان كان لتمام » . وقال في « طرب » (24) : « وقال لبيد في معنى الحزن .

واراني طربا في اثرهم

طرب الواله او كالمختبل

معناه : واراني حزينا . ويروي : او كالمختبل ، بالحاء : اي كالذي يقع في حباله الصائد » . والشواهد في الواقع كثيرة عنده جدا ، معنى بها لدرجة كبيرة . فكان يستقصى الاستشهاد على جميع اصدقاءه . ولم يترك منها الا الاضداد التي نقلها عن غيره بدون أن يكون مستشهدا عليها ، أو في المعاني المشهورة . وكان يصرح بأنه لا يستشهد على المعنى المشهور ، لانه ليس في حاجة الى ذلك . فكثيرا ما ترى هذه العبارة التالية عنده :

« لا يحتاج فيه الى شاهد لشهرته عند الناس » .

أو « لا يحتاج مع شهرته الى ذكر شواهد له » أو « شهرته تقني عن اقامة الشواهد عليه » وما ماثلهما .

يتضح من كل ذلك أن قول دائرة المعارف صحيح حين وصفت اصدقاء ابن الانباري بأنها أهم كتب الاضداد . فهذا الكتاب قريب من كتاب ابي حاتم ، ولكنه يفوقه في كثرة المواد وحسن العلاج ، وكثرة الشواهد وتنوعها ، ودقة النقد وكثرته ، وفي الاستطرادات التي تحوي كثيرا من الفوائد النحوية ، عن الامة الكوفة .

(22) 17 .

(23) 152 .

(24) 57 .

الى مرتبة التفلسف والتقد ، بدلا من الاقتصار على الجمع .

وتبين هذه النظرة المدققة الناقدة فى منهج المؤلف ، اذ قسم كتابه الى قسمين : الاول للاضداد المرضية عنده ، والثاني للاضداد التى ادخلها السابقون وليست من الاضداد فى حقيقتها . قال فى مقدمته : « وترى من سبقنا الى هذا الكتاب قد ادخل فيه ما ليس منه ، مما نحن ذاكرو صدر منه فى آخره بعد الفراغ من المقصد فيه » .

اما الاضداد المرضية ، او القسم الاول من الكتاب - وهو الاكبر - فرتبه فصولا بحسب حروف المعجم . ووضع فى كل فصل الالفاظ المدوارة بالحرف المعقود له الفصل معتبرا الحرف الاصلي فيها . قال فى المقدمة : « وقد رأينا ان نبويه على حروف المعجم ، اذ كانت همة اهل زماننا مقصورة عليه ، وقلوبهم مائلة اليه ، وخير ما تحرى ما نفع . وفضل ما انتدب له ما شفى ونجى » . ولكن ابا الطيب اكتفى بترتيب الفصول ، ولم يحاول ترتيب الالفاظ نفسها فى داخلها .

والقسم الثاني من الكتاب ، الخاص بما ادخله السابقون من اضداد ليست منها فى الحقيقة ورتبه ابوابا . كل باب منها خاص بنوع من هذه الاضداد . وبلغ عددها اربعة ابواب ، اولها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من صيغة مفعول ومنفعل من الاجوف ، وثانيها لما استوى فيه الفاعل والمفعول من المدغم العين فى اللام ، وثالثها للمجازي ، ورابعها للمقلوب . والبايان الاولان مرتبان على الحرف الاول ايضا ، اما الاخيران فغير مرتبين ..

وحين يلقي المرء نظرة على هذا الكتاب يجده مفتتحا بمقدمة قصيرة ، تستهل بعد الحمد والصلاة بما تحراه المؤلف فى كتابه من احكام التصنيف واحسان الترتيب . ثم تعريف الاضداد ويختمها بمنهجه والدعاء .

وتبدأ الاضداد بعنوان « الالف » الذى يشير الى فصل الالف بالطبع .

ولم يسم المؤلف هذه المجموعات « فصولا » ولكني وهبتها هذا الاسم للتيسير .

ويظهر منذ الضد الاول تحري ابي الطيب الجمع والاستقصاء ، اذ يقتبس فيه من جميع السابقين

ولا يعيب الكتاب غير بعض الاختلال ، الذى كان له اربعة مظاهر :

1 - الاضطراب : فالمؤلف ينظم صيغة فِعُول لان قطريا نظمها ، ولا ينظم فَعِيل ، لان هذا لم ينظمها . وابتدأ نظم صيغتي افْتَعَلَ وانفَعَلَ من الاجوف والمضاعف ، والمؤلف لا يفعل ذلك (262 ، 263) . ولا يبين انها قاعدة عامة فيما جاء على هذه الصيغة . ويذكر ابن الانباري كثيرا من الالوان على انها اضداد ، ولكنه يفرقها فى أماكن مختلفة ، وحقها التجمع فى موضع واحد . ونتج عن هذا تكرار الكلام عن بعضيا . وينطبق الكلام نفسه على الحروف والادوات التى عدتها من الاضداد . ويتصل بذلك تفريقه اشباه الاضداد ، وكان واجبا عليه ان يفصل الاضداد ، عن اشباهها ، ويضع كلا منها على حدة .

2 - التكرار : مثل الاخضر (223 ، 245) وطلع (202 ، 257) وزعوم (230 ، 259) كرر الكلام عنها فى الموضعين مع اتفاق السياق على وجه التقريب فى (طالع) واختلافه فى (الاخضر) و (زعوم) . وكرر عن فزع ايضا (129 ، 182) وان اختار فى المرة الاولى صيغة (فزع ومفزع) وفى الثانية (فزع) .

3 - اضداد لا ينبه فى صدرها على ذلك ، ويبتدىء فى علاجها مباشرة ، مثل ناء (94) حتى اضطرب الناشر المصري الاول فيها ، واتى بها فى تضاعيف الكلام عن سابقتها (124) كأنما ليست مادة جديدة .

— * —

كتاب ابي الطيب اللغوي

ظهرت اول محاولة لترتيب الاضداد على يد ابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفى عام 351 هـ . فقد اطلع هذا اللغوي على كتب الاضداد السابقة ، وجمعها امامه ، ثم نظر اليها نظرة ناقدة ، خرج منها بكتابه . واذن فقد كان يرمى ابي الطيب الى « احكام تصنيفه ، واحسان ترصيفه ، والزيادة على ما ذكر منه ، والفاء ما خلط من غيره فيه ، لتقوى منة القائلين به ، ويضعف قول النافين له » كما يقول فى مقدمته . وبدلنا هذا على ان حركة التأليف فى الاضداد نضجت ، ووصلت